

175100 - أقوال العلماء والأطباء في مسئولية ماء الرجل وماء المرأة في تحديد جنس الجنين

السؤال

روى مسلم (315) عن ثوبان مؤلّف رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: (كُثُرَ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِّنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعَهُ دَفْعَةً كَادَ يُضْرِعُ مِنْهَا فَقَالَ: لَمْ تَدْفَعْنِي؟ فَقَالَ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوكُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاكُ بِهِ أَهْلِيٌّ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ ثَبَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعِهِ، فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ ثَبَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا رَأَيْتُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَيْدِ التُّونِ»، قَالَ: فَمَا غَدَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْهَرُ لَهُمْ نُورُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمِّي سَلْسِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكُ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «يَنْفَعُكُ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأَذْنِي، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكُ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَامَنِي الرَّجُلُ مَنِي الْمَرْأَةِ، أَذْكُرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَامَنِي الْمَرْأَةُ مَنِي الرَّجُلِ، آتَيَا بِإِذْنِ اللَّهِ»، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ أَنْصَرَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي هَذَا عَنِ الْذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِّنْهُ، حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ».

فالعلم الحديث اليوم يخبرنا أن المني والبوسطة معاً هما من يحددان الخواص الجنينية للجنين، وأن سبق ماء المرأة من عدم سبقة لا علاقة له نهائياً في تحديد جنس الجنين ذكر أم أنثى ! وكما ترون فالحديث يناقض هذه الحقيقة العلمية ، فإذا كان محمد نبياً ولا يتلفظ إلا بوحي من الله فكيف فاته إذاً هذه الحقيقة ، بل جاء بما يخالف العلم ؟! .

لا أدرى ربما هناك تفسير آخر لهذا الحديث لا أعلم ! إذا كان الأمر كذلك فأرجو الشرح والتفصيل قدر الإمكان ، وأرجو أن لا ينظر إلى سؤالي هذا على أنه سؤال استفزازي أو تجريحي ، ولكم خالص الشكر .

الإجابة المفصلة

أولاً:

خلط بعض الكتاب في مسألة " تحديد جنس الجنين " بين معاني الأحاديث الواردة في بابه ، فحملوا أحاديث الشبه و(النزع) الوارد إطلاقه فيها على أن المراد بها تحديد جنس الجنين ، وليس الأمر كذلك ، بل تحديد الجنس غير الشبه .

ثانياً:

ذهب أكثر العلماء والأطباء المعاصرین إلى أن الرجل هو المسئول عن تحديد جنس المولود – بإذن الله – وأن المرأة هي كالأرض المزروعة لا خيار لها في الزرع فما يزرع فيها ثبته بإذن ربها ، وإليه الإشارة في آيات من القرآن الحكيم .

قال الدكتور محمد علي البار - وفقه الله - : " ومن المقرر علمياً أن جنس المولود يتحدد في اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الحيوان المنوي بالبويضة فيلقها ، فإذا ما التقى حيوان منوي يحمل شارة الذكورة " ٢ " بالبويضة : فإن الجنين سيكون ذكراً بإذن الله ، أما إذا كان الحيوان المنوي سيلقح البويضة يحمل شارة الأنوثة : فإن الجنين سيكون أنثى بإذن الله .

إذن الحيوان المنوي أو نطفة الرجل هي التي تحدد نوعية الجنين ذكراً أم أنثى ، (وَأَنَّهُ خَلَقَ الرِّزْوَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنَّثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا ثُمُّنَى) النجم / 45 ، 46 ، والنطفة التي ثمنى هي نطفة الرجل بلا ريب ، ويقول تعالى أيضاً (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُثْرَكَ سُدًّا . أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَنِيٍّ يُمْتَنِي . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى . فَجَعَلَ مِثْهُ (أي: المنوي) الرِّزْوَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنَّثَى . أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْبِي الْمَوْتَى) القيامة / 36 – 40 " انتهى من " خلق الإنسان بين الطب والقرآن " (ص 297 ، 298) .

ثالثاً:

إذا عرفنا وجه الصواب في المسألة على ما ذكرناه ، فكيف نوفق بين ما سبق ، وبين الحديث الوارد في السؤال ، وفيه أن للمرأة دوراً في تحديد جنس الجنين ؟ .

والجواب على ذلك نقول : إن هناك ثلاثة اتجاهات في توضيح ذلك وبيانه :

الأول: أن بعض العلماء ذهب إلى أن الإذكار والإيناث ليس له سبب طبيعي ، وأن ما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه - وهو الذي اشتمل على النص على جنس الجنين - هو وهمٌ من بعض رواته ، وأنه في الشبه بأحد الأبوين ، ليس في تحديد الذكورة والأنوثة ، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، والشيخ العثيمين رحمه الله من المعاصرین .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " وسئل صلي الله عليه وسلم عن شبهة الولد بأبيه تارة وبأمه تارة فقال (إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الشبه له ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل فالشبه لها) متفق عليه ، وأما ما رواه مسلم في صحيحه أنه قال (إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر الرجل بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آثرت بإذن الله) فكان شيخنا - أي: ابن تيمية - يتوقف في كون هذا اللفظ محفوظاً ويقول : " المحفوظ هو اللفظ الأول ، والإذكار والإيناث ليس له سبب طبيعي ، وإنما هو بأمر الرب تبارك وتعالى للملك أن يخلقه كما يشاء ، ولهذا جعل مع الرزق والأجل والسعادة والشقاوة " انتهى من " إعلام الموقعين " (٤ / 269) .

الثاني ، وقد ذهب إليه الأكثرون : أن الحديث صحيح ، وأنه لا إشكال في كون علو ماء المرأة يسهم في تخلق المولود إلى أنثى إن أدنى الله بذلك - وقد وقع خلاف في معنى " العلو " هل هو السبق ، أو العلو الحقيقي ، أو الكثرة والقوة - ، وأنه حتى في حال علو ماء المرأة فإنه يؤثر في اختيار الحيوان المنوي المذكر أو المؤنث ، دون أن يكون له دور رئيسي ، فرجع الأمر إلى أن المؤثر الحقيقي هو ماء الرجل ، فالمرأة هنا تساهم بدور ثانوي ، وذلك بتهيئة الظروف لاستقبال الحيوان المنوي ، فالوسط الحامضي يقتل " ٢ " وبقي على " X " من الحيوانات المنوية فيكون جنس المولود أنثى " XX " .

قال الدكتور محمد علي البار - وفقه الله - : " وتضمن الحديث - يعني : حديث ثوبان - وصفاً لماء الرجل وماء المرأة ، كما تضمن قضية الذكورة والأنوثة وأرجعها إلى أي الماءين علا ، فالإذكار أو الإيناث تبع له .

ويبدو ذلك معارضًا للآيات الكريمة التي ذكرت أن جنس الجنين يحدده مني الرجل فحسب - وذكر آية النجم وأية القيامة - كما يبدو معارضًا للمعلومات الطبية التي تؤكد أن جنس الجنين إنما يحدده الحيوان المنوي الذي سيلقح البويضة فإن كان حيواناً منوياً يحمل

شاره الذکورة "Y" كان الجنين ذکراً، بإذن الله وإن كان حیواناً منویاً يحمل شارة الأنوثة "X" كان الجنين أنثی بإذن الله . وفي الواقع ليس هناك تعارض ، وربما أُتّر علو ماء الرجل أو ماء المرأة في الحيوانات المنوية التي سيفلح واحد منها بإذن الله في تلقيح البويضة ، ونحن نعلم أن إفرازات المهبل حامضية وقاتلة للحيوانات المنوية ، وأن إفرازات عنق الرحم قلوية ولكنها لزجة في غير الوقت الذي تفرز فيه البويضة ، وترق وتخف لزوجتها عند خروج البويضة ، وإلى الآن لا ندرى مدى تأثير ماء المرأة على نشاط الحيوانات المنوية المذكورة أو المؤنثة ، ولا بد من إجراء بحوث دقيقة لتبين مدى تأثير هذه الإفرازات على الحيوانات المنوية المذكورة أو المؤنثة ، ومدى تأثير علوها أو انخفاضها على نشاط هذه الحيوانات ، وهناك من يقول : إن معنى العلو هو الغلبة والسيطرة فإن كانت الغلبة للحيوانات المذكورة كان إذكار ، وإن كان للمؤنثة كان إيناث بإذن الله " انتهى من " خلق الإنسان بين الطب والقرآن " (ص 390 ، 391) .

الثالث : وهذا الاتجاه ظهر حديثاً وهو يجعل المسئولية عن تحديد جنس الجنين مشتركة بين الرجل والمرأة ، وقد تزعم هذا الاتجاه وأظهره للناس - فيما نعلم - الدكتور جمال حمدان حسانين - اختصاصي علم التشريح والأجنة - وهي في تفسير حديث ثوبان رضي الله عنه - ، وقد قال ما نصه : " اندماج الحيوان المنوي مع البويضة يعتمد على الخصائص الكهربائية لهذه الخلايا الجنسية ، فعندما تكون البويضة " سالبة الشحنة " فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي (Y) الذي يحمل شحنة موجبة وينتج " طفل ذكر " ، وبما أن الحامل للصبغي " الشحنة الموجبة " هي الأعلى حسب قواعد الطبيعة يكون مني الرجل هو الأعلى ، وبذلك يكون علو مني الرجل سبباً في إنجاب طفل ذكر " ، وهذا يطابق ما أوضحه الحديث النبوى بشكل مذهل (فإذا اجتمعا فعلاً مني الرجل مني المرأة : ذكراً بإذن الله) . وأما إذا كانت البويضة موجبة الشحنة فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي الحامل للصبغي (X) الذي يحمل شحنة سالبة وينتج " طفل أنثى " ، وهذا ما أوضحه أيضاً الحديث النبوى (وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثاً بإذن الله) . وعلى ذلك يكون هناك دور مشترك للرجل والمرأة في تحديد جنس الطفل " . انتهى

ولعل أقرب الأقوال هو الاتجاه الثاني الذي يرى مسئولية ماء الرجل عن تحديد جنس الجنين ، وأن علو ماء المرأة الذي يكون معه المولود أنثى ، لا يسلب من ماء الرجل مسؤوليته العظمى ، ولا يعطي دوراً مساوياً لماء المرأة ، مع الاعتراف ب حاجتنا إلى دراسة علمية حديثة من أكثر من عالم ومتخصص لدراسة هذه القضية بكافة أجزائها والخروج بنتيجة علمية متفق عليها .

والله أعلم